وَرُمْحِي السَّمْهَرِيّ لَهُ سِنَانٌ،
يَلُوحُ كَمِثْلِ نارٍ في يَفَاعِ[١]
وَمَا مِثْلِي جَزُوعٌ في لَظَاها،
وَلَسْتُ مُقَصّراً إنْ جاءَ داعي[٢]

المنيّة دوحة

يتوعد جموع الفرس بالحرب:

[الكامل]

قِفْ بالمَنازِلِ إنْ شَجَتْكَ رُبوعُها
فَلَعَلّ عَيْنَكَ تَسْتَهِلُّ دُموعُها[٣]
وَاسْأَلْ عَنِ الأَظْعانِ أينَ سرَتْ بها
آباؤها وَمَتى يَكُونُ رُجُوعُها[٤]؟

(١) ومن عتاده رمح سمهري لدن، سِنانه يبثّ نار الغضب يبدو للناظر من بعيد كنار ذكت في مرتفع من الأرض تبدو للعيان من بعيد.

(٢) إن الشاعر جريء لا يخاف من نار الحرب بل إنه لا يتوانى إذا ما دعت الحاجة لخوضها بكلّ ما أوتي من قوّة، ولا يتردّد خوفاً من نتائجها، فهي مضمونة النتائج بالنسبة إليه.

(٣)، (٤) شجتك: أحزنتك. تستهلّ دموعها: تستدرّها بغزارة. الأطلال رمز علاقة الإنسان بالأرض وبالتاريخ؛ فالربوع هجرها ساكنوها فبدت قفراء يلفّها الحزن، يقف الشاعر بتلك الربوع على أمل البكاء لعلّ ذلك يُخفّف شيئاً من أحزانه، وما يُهمه من تلك الأطلال فتاة في ميعة الصبا، وهي تركب هودجها على وشك الرحيل، والمشكلة إلى أين المصير؟ وهل ثمّة قرار أم تيه وضياع في صحراء متسعة الأطراف، والسؤال المحيّر متى يكون الرجوع إلى تلك الديار؟

دارٌ لِعَبْلَةَ شَطّ عَنْكِ مَزَارُها،
وَنأتْ فَفَارَقَ مُقلتَيكِ هُجوعُها[١]
فَسَقَتْكِ يا أرْضَ الشَّرَبّةِ مُزْنَةٌ
مُنْهَلّةٌ يَرْوِي ثَرَاكِ هُموعُها[٢]
وَكَسَا الرّبيعُ رُباكِ مِنْ أزْهَارِهِ
حُلَلاً إذا ما الأرْضُ فَاحَ رَبيعُها[٣]
كَمْ لَيْلَةٍ عَانَقْتُ فيها غادَةً
يَحْيَا بها عِنْدَ المَنَامِ ضَجيعُها[٤]
شَمْسٌ إذا طَلعتْ سَجَدْتُ جلالةً
لِجَمالِها وَجَلا الظّلامَ طُلُوعُها[٥]
يا عَبْلَ! لا تَخْشَيْ عليّ مِنْ العِدا
يَوْماً إذا اجْتَمَعَتْ عَليّ جُموعُها[٦]
إنّ المَنيّة، يا عُبَيْلَةُ، دَوْحَةٌ
وَأنا وَرُمْحي أصْلُها وَفُرُوعُها[٧]

---

(١) لقد بعُدت ديار عبلة عن متناول اليد، ولذا فقد امتنع النوم وحلّ محله قلق وأرق، والبال تتنازعه الهموم فتتمزّق الأحلام لحظة السهاد.

(٢)، (٣) المزنة: المطرة، هموعها: انهمارها. يأمل الشاعر أن تُروى أرض الشربّة ماءً غدقاً سحّاً يُعانق التراب ويسري في شرايين تلك البقعة، فيدبّجها الربيع ويكسوها ببديع الألوان وشتى العطر الزكي الذي يعانق الريح والنسيم فتنعش الروح.

(٤)، (٥) يذكر الشاعر مغامراته المتعدّدة في الليل، والليل ساتر الخطايا، وفي ليال كثيرة، كانت معانقة غانية زان جمالها حبّ له، حيث تدبّ مشاعر جميلة في أعماقه لتلك الغادة، وهي تشرق بقدّها مقبلة عليه سرعان ما يسجد تعظيماً لبهاء طلعتها، فإذا بالظلمة تنزاح، ويملأ نورها المكان.

(٦)، (٧) يخاطب الشاعر عبلة داعياً إيّاها للاطمئنان عليه، فمهما تكاثرت =

وَغَـداً يَـمُـرّ عَـلـى الأعـاجـم مِـنْ يَـدي
كَـأسٌ أمَـرُّ مِـنَ الـسُّـمُـومِ نَـقـيـعُـهـا(١)
وَأُذِيـقُـهـا طَـعْـنـاً تَـذِلّ لِـوَقْـعِـهِ
سَـادَاتُـهـا وَيَـشـيـبُ مِـنْـهُ رَضِـيـعُـهـا(٢)
وَإذا جُـيُـوشُ الـكِـسْـرَوِيّ تَـبَـادَرَتْ
نَـحْـوِي وَأبْـدَتْ مـا تُـكِـنُّ ضُـلـوعُـهـا(٣)
قَـاتَـلْـتُـهـا حَـتـى تَـمَـلَّ وَيَـشْـتَـكِـي
كُـرَبَ الـغُـبـارِ رَفـيـعُـهـا وَوَضـيـعُـهـا(٤)
فَـيَـكُـونُ لـلأُسـدِ الـضّـوَارِي لـحـمُـهـا
وَلـمَـنْ صَـحِـبْـنـا خَـيْـلُـهـا وَدُرُوعُـهـا(٥)

= الأعداء واجتمعوا فإنهم مغنم سهل، والموت بالنسبة إليه شجرة ضخمة تعانق السماء، وهو مع رمحه أصل تلك الشجرة وفروعها التي تقف في وجه الرياح وتستعصي على العواصف.

(١) إنه الغد الذي يحمل المفاجأة الفاجعة التي لم يتوقّعها الأعاجم، سوف يتجرّعون من الشاعر كأساً سامّة نقيعُها الموت الزؤام، وشرابها علقم.

(٢) سينزل الشاعر بالفرس الخسف، ويذيقهم الذلّ ألواناً متعدّدة الأصناف بحيث يقع فريسته ساداتهم صرعى أو أسرى بين يديه ممّا يجعل الرضّع فيهم يشيبون ولم يبلغوا بعد الفِطام.

(٣)، (٤) ولو أن جيوش الفرس تبادروا إلى الكفاح يقودهم كسرى ملكهم يودّون الفتك بالشاعر فإنه لن يتوانى عن مقاتلتهم، وسيصبر على البأساء حتى يملّ كلّ واحد فيهم، سواء السادات فيهم أو غوغاؤهم، فينهزمون وتدور عليهم الدوائر.

(٥) نتيجة تلك المعمعة تمزّق الجيش الفارسي؛ فلحوم الجند للأسود الضارية تتغذّى بها، والأسلاب من خيل وعتاد من نصيب المشاركين من بني قومه في قتال الفرس.

يـا عَـبْـلَ! لَـوْ أنّ الـمَـنـيّـةَ صُـوّرَتْ
لَـغَـدَا إلـيّ سُـجُـودُهـا وَرُكُـوعُـهـا[١]
وَسَـطَـتْ بـسَـيْـفـي فـي الـنّـفُـوسِ مُـبـيـدَةً
مَـنْ لا يُـجـيـبُ مـقـالَـهـا وَيُـطـيـعُـهـا[٢]

حصاني دلال المنايا

قال في يوم المصانع:

[الوافر]

إذا كَـشَـفَ الـزّمـانُ لَـكَ الـقِـنَـاعَـا
وَمَـدّ إلَـيْـكَ صَـرْفُ الـدّهـرِ بـاعـا[٣]
فَـلا تَـخْـشَ الـمَـنِـيّـةَ وَالـقَـيَـنْـهـا
وَدافِـعْ مـا اسْـتَـطَـعْـتَ لـهـا دِفـاعـا[٤]

(١) يُخاطب الشاعر عبلة أنه لو تمثل الموت بصورة بشرية لكان عليه أن يقوم بعبادته؛ فيُصلي لأجله ويركع له. وفكرة الركوع والسجود فكرة إسلامية، ممّا يوحي بالنحل في هذه القصيدة.

(٢) إنه سيفه وسيلته ليسطو على النفوس المعاندة فينتزع منها حياتها ويحطم كبرياءها ويحملها على الطاعة والاستسلام ويُنطقها بما يحبّ ويرضى.

(٣)، (٤) مناكفات الدهر لا حصر لها، فالمرء دائم الصراع مع الوجود ومع الزمن، وقد يكر الزمن فيزيّن للبشر ما يحبّون وما يكرهون فيخدعهم، وقد يكشف عن حقيقة بشاعة وجه، فيمدّ يده طويلة حتى تصافح من يقع فريسة خداعة، فيبدو باعه عارياً بشعاً، ولذا فإن على المرء ألّا يخاف من المجابهة، فالموت آتٍ على كلّ حال، ولا بدّ من مدافعته بمجابهته بشتّى الوسائل، وبما يستطيعه الإنسان.